مدرسة فرانكفورت النقدية: الاسس والمنطلقات الفكرية

أ.م.وعبير سهام مهدي(*)

ملخص

تعد مدرسة فرانكفورت ابرز مدرسة فلسفية اجتماعية نقدية معاصره وجهت نقدا مركزيا وبناءا للسلبيات الاجتماعية والفكرية التي عرفتها المجتمعات الاوربية المعاصرة بتوجيه انتقادات جذرية وعميقة للمفاهيم والقيم التي تأسست عليها هذه المجتمعات كـ (العقلانية ، الحرية ، التقدم العلمي والتقني)، اذ كان اغلب مفكريها يسعون الى هدف واحد مشترك هو العمل على تغيير الواقع ليصبح اكثر انسانية وايجاد صورة العقل التي تتناسب مع هذا العقل الانساني .اذ على الرغم من انطفاء شمعات اغلب روادها الكبار الا ان افكارها الفلسفية والاجتماعية النقدية مازات حية وهذا دليل على حيويتها وقوة تأثيرها وفاعليتها التي مثلت جيلا غير اعتيادي مرت لحظته التاريخية مرورا متميزا وغير اعتيادي ايضا.

المقدمة :

تعد مدرسة فرانكفورت أو النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت واحدة من ابرز المدارس الفلسفية الغربية المعاصرة، والتي اكتسبت اليوم أهمية بالغة نظرا لغنى وتنوع كتاباتها المنفتحة على مختلف المرجعيات الفلسفية الكبرى(الكانطية، الهيغلية، الماركسية، الفرويدية.الخ) ومواكبتها للإشكاليات المعقدة المطروحة في المجتمعات المعاصرة، وللتحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية لعالمنا المعاصر، ولعل أهم ما يميز هذه المدرسة الفلسفية يتحدد في كونها اتخذت النقد منهجا، وحاولت القيام بممارسة نقدية جذرية للحضارة الغربية قصد إعادة النظر في أسسها ونتائجها في ضوء التحولات الأساسية الكبرى التي أفرزتها الحداثة الغربية وخاصة الأنوار، التي تعد نقطة

(*) كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.

تحول جوهرية في مسار هذه الحداثة، كما أنها لعبت دورا هاما في رصد مختلف الأعراض(المرضية) التي عرفتها المجتمعات الغربية المعاصرة كـ (التشيؤ)* والاغتراب وضياع مكانة الفرد وأزمة المعنى وغيرها مما حدا بالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت بتوجيه انتقادات جذرية وعميقة للمفاهيم والقيم التي تأسست عليها هذه المجتمعات كالعقلانية والحرية والتقدم العلمي والتقني وما ارتبط بها من نزعات وضعية وعلموية، وغيرها من النزعات التي عملت على الحفاظ على الوضع القائم والمصالح المهيمنة فيه، ولهذا قدم مفكرو مدرسة فرانكفورت تحليلا نقديا للمجتمعات المتقدمة تكنولوجياً ولأسسها الإيديولوجية قصد الكشف عن الآليات الفكرية والسياسية التي تتحكم وتوجه هذه المجتمعات. من هنا انطلقت فرضية بحثنا الموسوم بـ (مدرسة فرانكفورت النقدية: الأسس والمنطلقات الفكرية) من إن مدرسة فرانكفورت سعت إلى تحقيق هدف واحد وهو العمل على تغيير الواقع ليصبح أكثر إنسانية وإيجاد صورة العقل التي تتناسب مع هذا العقل الإنساني من خلال محاولتها لوضع نظرية نقدية للمجتمع تربط بين التفكير والممارسة مع بعضهما ربطا جدليا . وللبرهنة على فرضية البحث نطرح التساؤلات الآتية :

١ –كيف نشأت مدرسة فرانكفورت ؟ ومن هم ابرز فلاسفتها ؟

٢– ما هي أسس وأفكار هذه المدرسة ؟ وكيف تطورت ؟

٣– ما هي علاقة روادها مع الفلسفة الهيغلية والماركسية والوضعية ؟

وفي ضوء التساؤلات التي تم طرحها في فرضية البحث فقد تم تقسيم الموضوع الى أربعة مباحث فضلا عن المقدمة والخاتمة، فقد تناولنا في المبحث الأول: الأصول التاريخية لمدرسة فرانكفورت النقدية، أما المبحث الثاني: فقد ناقش الأسس الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية ،أما المبحث الثالث: فقد كرس لمناقشة المنطلقات الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية.

Frankfurt School of Cash: Foundations and Intellectual premises

Assistant professor. Dr.Abeer suham Mahdi

The Frankfurt School most prominent school of philosophical and social cash Contemporary directed cash centrally according to the

cons of social and intellectual known to communities of European contemporary criticism of radical and profound concepts and values that founded this community (k rationality, liberty, scientific and technical progress), as was most of the thinkers seeking to one common goal is to work to change the reality to become more humane and find a picture of the mind that are commensurate with the human mind .as Although extinguished spark most of the patrons adults, but the ideas of philosophical and social cash continue to be under live and this is evidence of the vitality and strength of the impact and effectiveness of which represented a generation is routinely passed through his moment of historical distinct and unusual as well.

المبحث الأول: الأصول التاريخية لمدرسة فرانكفورت النقدية

قبل الإشارة إلى نشأة هذه المدرسة ومن هم فلاسفتها، لابد من القول أن الفلسفة الغربية المعاصرة، ولاسيما الفلسفة الأوربية منها بالتحديد ، قد أسهمت بنصيب وافر في ظهور مدارس وحلقات فلسفية كبرى لعبت دورها الكبير في الفكر الفلسفي العالمي، من خلال ما زودت به هذا الفكر من مناهج ورؤى وتصورات وأحكام على مستوى المعرفة والميتافيزيقا والأخلاق والمنطق والمنهج والسياسة. ونذكر على سبيل المثال المدرسة الوضعية المنطقية، والمدرسة الوجودية، والمدرسة البراغماتية، والبنيوية، وما مدرسة فرانكفورت إلا واحدة من تلك المدارس الفلسفية الكبرى التي ظهرت في القرن العشرين وما زالت قائمة إلى يومنا هذا [١]. وقد حصلت مدرسة فرانكفورت على طابعها المؤسسي عبر تأسيس معهد الأبحاث الاجتماعية** في عشرينات القرن الماضي، وقد وضعت الحلقة الدراسية الأولى للعمل الماركسي لبنات التفكير في أسباب أزمة الفكر الماركسي وإخفاق(ثورة ١٩١٨) في ألمانيا، وقد جمعت الحلقة الدراسية عدد من الباحثين من أبرزهم رجل الأعمال (فليكس فايل)***، والاقتصادي (فريدريك بلوك)، والمفكر الماركسي(جورج لوكاتش) ****، إلا إن المشروع لم يتكلل بالنجاح، غير انه عدّ بمثابة الانطلاقة التي دفعت بعض المشاركين في الحلقات في التفكير جديا في تأسيس معهد الأبحاث الاجتماعية [٢].

وقد تأسس معهد الأبحاث الاجتماعية رسميا في ١٩٢٣/٢/٣ في جامعة (غوته) بمدينة (فرانكفورت) في ألمانيا، وقد توخى المعهد في البداية احتضان الأبحاث النظرية الاشتراكية التي أقفلت الجامعة الألمانية الأبواب في وجهها، وكان المعهد يظم جملة من المثقفين اللذين لم يتبنوا طروحات الاشتراكية، ورفضوا الانضمام إلى الحزب الشيوعي الألماني بعد فشل (ثورة ١٩١٨) يحدوهم العزم لبلورة فحص عميق لأسس النظرية النقدية ، كان المعهد في البداية يتولى الإشراف عليه أستاذ القانون والعلوم السياسية في جامعة فيينا (كارل جرونبرج)***** ، وفي العام (١٩٣١) تم تنصيب (ماكس هوركهايمر) ******رئيسا للمعهد وتعيين (تيودور ادرنو)****** أستاذا مساعدا له ، وبتعاون (هوركهايمر وادرنو) اخذ اسم النظرية النقدية في اللمعان إذ لم يعد الاهتمام منصب فقط على نقد الاقتصاد السياسي كأداة لتحليل المجتمع الرأسمالي كما كانت ترى الماركسية ، إنما اعتمدت – إي مدرسة فرانكفورت – على إجراء مقاربة تركيبية تقوم على ربط الفلسفة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية[٣] .

لاشك أن أوضاع ألمانيا السياسية غير المستقرة قد أثرت تأثيرا ملحوظا على مدرسة فرانكفورت النقدية ، وبشكل خاص تنامي النازية وحزبها الاشتراكية الوطنية والذي أصبح أكثر تهديدا للمدرسة، لذا فان مؤسسي المدرسة وخصوصا بعد صعود(هتلر) إلى السلطة في العام (١٩٣٣) قرروا نقل معهد الأبحاث الاجتماعية إلى بلد أخر، وفعلا فان المعهد غادر إلى (جينيف)، ومن ثم الهجرة إلى(نيويورك) في العام (١٩٣٥)، ومن ثم التحق المعهد بجامعة (كولومبيا) الأمريكية، وشهدت هذه المرحلة نشر أهم أعمال منظري مدرسة فرانكفورت النقدية والتي لاقت قبولاً واسعاً من قبل الأكاديميات الأمريكية والانكليزية، وعاد كل من(هوركهايمر، ادرنو، وبلوك) إلى ألمانيا في بداية الخمسينات، وفي العام (١٩٥٣) أعيد فتح معهد الأبحاث الاجتماعية رسميا في مدينة فرانكفورت [٤]، ومما لاشك فيه إن هجرة مدرسة فرانكفورت إلى الولايات المتحدة الأمريكية قد أثرت غالى حد كبير في أعمالهم لذلك فأنهم ، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وغروب النظم الفاشية والنازية شرعوا في تحليل المجتمع الرأسمالي الذي كان سائدا بصورة متميزة في أمريكا خاصة مع تنامي نظامه الاقتصادي

التي كونت الرأسمالية قوته، وهو ما يفسر توجه بحوث المعهد هناك إلى قضايا عدة في هذا المجتمع ، كقضية السيطرة الشاملة ، والقضاء على قيمة الفرد والقهر التقني، وصناعة الثقافة[٥]، وبهذا المعنى يمكننا القول: إن المشروع الفلسفي النقدي لمدرسة فرانكفورت لم يكن منفصلا عن السياق التاريخي والاجتماعي الذي عرفته المجتمعات الغربية، بل أن المدرسة قد واكبت بعض الأحداث السياسية والاقتصادية التي أثرت فعليا على هذا المشروع، منها: اندلا ع الحرب العالمية الأولى ، والثورة البلشفية في روسيا، وإخفاق الثورة في ألمانيا، وعجز الحركات الاشتراكية الراديكالية في أوربا الغربية ، وظهور الستالينية في الاتحاد السوفيتي ، والنظم الفاشية والنازية في ايطاليا وألمانيا ، وهيمنة النظم الرأسمالية وتعزيز سيطرتها الاقتصادية والإيديولوجية خاصة بعد خروجها من الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي مرت بها المجتمعات الغربية في الثلاثينات من القرن العشرين[٦]. ومن هنا وجدت مدرسة فرانكفورت نفسها تضطلع بمهمة رئيسية تتمثل في ممارسة نمط من النقد الفلسفي ينصب أساسا على الوضع الاجتماعي قصد تغييره وتجاوزه . وقد توالت طروحات مدرسة فرانكفورت عبر أربعة مراحل مهمة هي :

المرحلة الأولى / والتي تمثلت في العالم (١٩٣٠) في فترة تولي (جرونبرج) إدارة المعهد إذ اتسمت طروحات المدرسة بطابع ماركسي ثوري ، اهتمت المدرسة بالدراسات البحثية الميدانية وركزت على مناقشة قضايا المادية التاريخية للماركسية والاقتصاد السياسي ومشكلات الأحزاب السياسية وتطور علم الاجتماع منهجا وموضوعا وقد التزمت المدرسة بموضوعين: أولهما: الالتزام بالخط الماركسي، وثانيهما: محاولة إثراء الكتابات الماركسية عن طريق الاستفادة من إجراء البحوث الامبيريقية– اتجاه في نظريه المعرفة، يرد المعرفة إلى الاحتكام للواقع، بواسطة ملاحظته واختباره، والميدانية لدعم عمليات تحويل المجتمعات الأوربية إلى النظام الاشتراكي[٧].

المرحلة الثانية/ ترأس المدرسة في هذه الفترة (ماكس هوركهايمر) وسعى إلى تغيير منهجية المدرسة وفلسفة تحليلها للواقع والبعد عن مثالية (هيغل) والتطرف الماركسي التي أكدت إن كل من النفس الاجتماعية والقانون والفن ما هي إلا انعكاس

للواقع المادي الاقتصادي، ومن ثم أكدت النظرية النقدية على ضرورة الاعتراف بالدور المستقبلي للثقافة في صياغة التفاعل الاجتماعي وقد كان اهتمام المدرسة لهذه الفترة منصب على ثلاث مجالات رئيسة هي: دراسة البناء الاقتصادي للمجتمع، تحليل النمو أو التطور النفسي للفرد، دراسة الظواهر الثقافية[٨].

المرحلة الثالثة / تميزت هذه المرحلة (١٩٣٥ – ١٩٤٩) – بنشاط الرواد في الولايات المتحدة الأمريكية (المنفى) وقد جاءت أفكار المدرسة لتعكس بعدين أساسيين هما :

الأول: دراسة وتحليل الظروف الداخلية في ألمانيا خلال الفترة النازية والسعي إلى اكتشاف الخرافات الاجتماعية ، وقد تم إلغاء البحث الاجتماعي لان علم الاجتماع قادر على كشف النوايا الحقيقية في المجتمع الألماني[٩] .

الثاني: طبيعة تباين المصالح وعلاقة جماعة المصلحة والضغط ودورها في صنع القرارات الداخلية والخارجية ، وفي هذه الفترة لقي الكثير من منشئي هذه المدرسة مصرعهم والبعض منهم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو إلى أوربا، إلا أن بعض من رواد هذه المدرسة ظلوا يواجهون أفكارهم حسب الفكر الإيديولوجي النازي أمثال (هابنز فيفز، ولتر ، ايبس) ، وقد ركز البعض الآخر على دراسة الفلكلور بعده موضوع امن من الناحية السياسية والاجتماعية ، ولكن الجيل الثاني من المدرسة هم من اهتموا فعليا بتطوير النظرية النقدية ، من أمثال (ادرنو ، ماركوز ********، هوركهايمر) اذ اهتموا بدراسة الواقع الرأسمالي عن قرب مستخدمين في ذلك الشواهد الواقعية والملاحظة ، وتناولوا قضايا ومشكلات المجتمع الأمريكي بصورة نقدية وتحليلية ومع نهاية هذه المرحلة تغيرت اتجاهات معظم رواد هذه المدرسة فتحول (ماركوز) الى دراسة التحليل النفسي في (نيويورك)، إلا إن (هوركهايمر) عاد إلى ألمانيا في العام (١٩٤٩) ليواصل عملية التحليل الواقعي لمشكلات المجتمع الحديث[١٠].

المرحلة الرابعة / وقد مثلت هذه المرحلة عودة عدد كبير من رواد هذه المدرسة إلى ألمانيا ، وتركزت تحليلات المدرسة على بعدين هما :

الأول : مناقشة التفاعلات والأحداث الواقعية وخاصة ظهور مجتمع الوفرة وحياة الرفاهية التي عاشتها المجتمعات الرأسمالية وظهور النزعة التسلطية والبيروقراطية في المجتمع السوفيتي خلال فترة حكم (ستالين)[١١] .

الثاني : الاهتمام بعلم الاجتماع في حد ذاته سواء في ألمانيا أو الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية ومحاولة إعادة صياغته وتأسيسه على أسس علمية وموضوعية جديدة، الا ان هذه المدرسة واجهت صعوبات عدة أهمها : عدم تناول القضايا التي نتجت عن فترة الحكم النازي واستمرار كراهية السلطة لعلم الاجتماع[١٢].

لقد اتخذت مدرسة فرانكفورت من ضمن استراتيجياتها المهمة الهجوم على الميتافيزيقا والمثالية ، وقد اصدر المعهد صحيفة متخصصة تمثل وجهة نظر معهد الدراسات الاجتماعية ومن ضمن المقالات المتميزة التي نشرت في الصحيفة مقالة لـ (هوركهايمر) بعنوان (الماركسية وعلم الاجتماع) ومقالة لـ (اريك فروم)********* بعنوان (الماركسية والتحليل النفسي) ودعا فيها (اريك فروم) إلى علم ماركسي نفسي يمكن المزاوجة فيه بين الماركسية والفرويدوية، وقد قام أعضاء المدرسة بدراسات جماعية منها: حول دور الطبقة العاملة في أوربا ومنها أيضا دراسات حول الجدل الهيغلي وكذلك دراسة جماعية حول الشخصية الفرويدية وكذلك دراسة جماعية حول الشخصية الفردية وكذلك دراسة الشخصية الاستبدادية وقد ساهم في تلك الدراسات المشتركة كل من (اريك فروم، وادرنو ، وهوركهايمر ، وماركوز)[١٣]. هذا من جانب، ومن جانب أخر يمكن القول بان جميع مفكري مدرسة فرانكفورت كانوا بعيدين عن الحياة السياسية باستثناء (ماركوز) الذي ناصر الحركات الطلابية********** في نهاية الستينات واعتبرها بارقة امل في الحياة الثورية وهي اي تلك الحركات الثورية الطلابية بديل للحركات العمالية التي انتهى دورها الثوري وخصوصا عند الكثيرين من المفكرين الذين اعتبروا الطبقة العاملة جزء من الطبقة البرجوازية بعد أطلاق مقولة (تبرجز الطبقة العاملة)، وعلى الرغم من الحركات الطلابية قد اعتبرت مدرسة فرانكفورت ودراساتها المتميزة من مصادر التأثير المهمة لتلك الحركات إلا أن معظم أعضائها كان مبتعدا عن الحياة السياسية وخصوصا (ادرنو و هوركهايمر)[١٤] ، وفي نهاية الستينات وبعد وفاة

كل من (هوركهايمر) و(ادرنو) وانتهاء الحركات الطلابية اقتربت تلك المدرسة من نهايتها وبقيت أفكارها الرئيسة واضحة في الدراسات النقدية المهمة وواصل الكثير من المفكرين ممن تأثروا بأفكار مدرسة فرانكفورت وبجهود فردية بدراسات فلسفية وفكرية متميزة ويقف على رأس هولاء المفكرين (يورغن هابرماس)********** الذي يعد من ابرز المفكرين الذين ساروا على نهج المدرسة وممن تأثروا بفكرها النقدي .

المبحث الثاني : الاسس الجوهرية لفكر مدرسة فرانكفورت النقدية

لا يمكن فهم النظرية النقدية **********لمدرسة فرانكفورت الا بالرجوع إلى الأسس الفكرية لفكر هذه المدرسة ، غير أن ما يميز هذه المدرسة عن باقي المدارس الفلسفية و السوسيولوجية الأخرى هو عدم اقتصارها على المرجعية الفلسفية أو السوسيولوجية فقط ، فقد تشربت هذه المدرسة من ينابيع جميع العلوم الإنسانية، من الفلسفة (كانط وهيجل)، ومن علم الاجتماع (كارل ماركس وماكس فيبر و اوغست كونت**********) وعلم النفس (فرويد) والعلوم اللغوية (اوستين) ونظرا لسعة الموضوع سوف نتكلم عن الأسس الفلسفية والسوسيولوجية .

أ – الأسس الفلسفية :

اتخذت مدرسة فرانكفورت او ما يعرف بالنظرية النقدية من النقد أساسا لها ، والنقد هو تقليد ألماني قديم وقد ظهر وبشكل جلي مع (كانط) ومن بعده (هيجل) وأتباع (هيجل) من بعده (الهيغلين الشباب) ليصل هذا التقليد الى مدرسة فرانكفورت . ويرجع العديد من المهتمين بالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت غالى النقد (الكانطي) الذي يعد مرجعا أساسيا اعتمد علية أصحاب النظرية النقدية وخاصة من كتبة الرئيسة الثلاث: (نقد العقل الخالص) في العام (١٧٨١)، (ونقد العقل العملي) في العام (١٧٨٨)، وكتاب (نقد ملكة الحكم) في العام (١٧٩٠).[١٥] وقد حاول بعض مفكري النظرية النقدية اتخاذ منحى توفيقي بين الفلسفة الكانطية والمادية الجدلية (لاسيما في بعديهما المتعالي كما يقول ماركوز)، وانطلاقا من القيمة التي أسستها الكانطية في التاريخ الحديث للفلسفة الكلاسيكية الألمانية سعى فلاسفة فرانكفورت

إلى تقديم النظرية التي يجتهدون في بنائها وتوضيحها كوريث شرعي للعقلانية الكلاسيكية من كانط[١٦]. وإذا كان هناك اختلاف بين الباحثين حول ما إذا كانت الفلسفة تمثل إحدى الخلفيات الفلسفية لمدرسة فرانكفورت، إذ هناك إجماع على أن فلسفة (هيجل) تمثل مرجعية أساسية لفكر مدرسة فرانكفورت وهذا يتضح من كتابات (ماركوز) وخاصة في كتابه (العقل والثورة)، فإذا كان(كانط) قد أقام فلسفته النقدية لتمييز العلمية الصحيحة عن المعرفة الميتافيزيقية التي تؤدي الى وقوع العقل في التناقض فان (هيجل) قد جعل من التناقض جوهر لفلسفته ومنهجه الجدلي[١٧]. وقد قام (هيجل) من خلال منطقة الجدلي، بإدخال العقل في الوعي وفي الطبيعة ثم تجلى في التاريخ ، وأصبح هو جوهر التاريخ ومحركه، بل أصبحت العملية المعرفية نفسها تنمو في مراحل متعددة، وقد قام (هيجل) أيضا بمهاجمة المعرفة العقلية الخالصة التي فصلت الفكر عن الوجود، كما هاجم (هيجل) الفلسفة التجريبية الخالصة التي أغفلت السمات العقلية للواقع.

ويعد (هيجل) حسب منظري فرانكفورت رائد الفلسفة الاجتماعية لانه خلص الفلسفة من القيود الشخصية المفردة، حين ألقى بالوعي في تجربة جماعية وكونية يخوضها الروح منذ اللحظة الأولى التي انفصل فيها عن الطبيعة ، وتظهر هذه التجربة في الدين والفن والسياسة وتجد في الفلسفة تعبيراتها المفهومية[١٨].

وقد انقسمت المدرسة الهيجلية بعد وفاته إلى جناح يميني وجناح يساري ، وقد تمسك الجناح اليميني بالاتجاه المحافظ في مذهب (هيجل) ووسعه ، أما الجناح اليساري فقد طور الاتجاهات النقدية عند (هيجل) مبتدءا هذا التطوير بتفسير تاريخي للدين، وقد دخلت هذه الجماعة الأخيرة في نزاع اجتماعي وسياسي متزايد الحدة مع عهد عودة الملكية وانتهى أمرها أما إلى الاشتراكية الفوضوية الكاملة وأما إلى الليبرالية التي تحمل طابع البرجوازية المصغرة[١٩]، وقد تعارضت معايير (هيجل) النقدية مع الواقع الاجتماعي السائد ، ولهذا السبب أطلق خصومه المعاصرون لمذهبه اسم (فلسفة سلبية)، وقد ظهرت في العقد التالي لموت (هيجل) فلسفة ايجابية أو وضعية ترمي إلى إزالة تأثير اتجاهاته الهدامة وأخذت هذه الفلسفة على عاتقها أن تخضع العقل إلى

سلطة الواقع ، وان الصراع حدث بعد ذلك بين الفلسفة السلبية والايجابية أو الوضعية ليقدم مفاتيح متعددة تساعد على فهم نشأة النظرية الاجتماعية الحديثة في أوربا .

ب – الأسس السوسيولوجية :

١ – التأثير الماركسي : تاريخيا يمكن القول بان النظرية النقدية تمتد بجذورها إلى الماركسية عبر حلقات أسبوع الأعمال الماركسية ، التي انبثقت منها فكرة تكوين معهد الأبحاث الاجتماعية ، كذلك يمكن الإشارة إلى انه خلال مرحلة التكوين ، عقد المعهد علاقات قوية مع (لوكاتش)، (وكورش)، إذ اخذ عنهما أعضاؤه تحليلهما لفكرة حتمية تخطي النظام الرأسمالي، التي احتلت لبّ النظرية النقدية خاصة خلال إدارة (جورنبرج) للمعهد ومن الواضح أيضا أن المعهد كان مواكبا لكافة التطورات في (الاتحاد السوفيتي) بعد ثورة (١٩١٧)، وان (هوركهايمر) حاول أن يطبق الماركسية بعدها فلسفة نقدية على صعيد نظرية المعرفة، واهتم مع زملائه وبالذات بعد وصول (ستالين) إلى الحكم، وعقد المعاهدة النازية – السوفيتية، بتوسيع الطروحات الماركسية وتنميتها في الأصعدة النظرية والاجتماعية والنفسية، وبشكل مختلف عن التفسيرات التي قدمها لها منظروا الأممية الثانية والثالثة، وان تم ذلك دون بلوغ حد التعارض معها[٢٠]. من هنا يمكن الإشارة إلى أن العلاقة الأولى لمفكري مدرسة فرانكفورت مع الماركسية، لم تكن انخراطا في عقيدة وفدت من الخارج ، أو أنهم دخلوا الماركسية مستسلمين لكل أفكارها وممارساتها لدى النظم التي اتخذتها، بل مثلت أعمالهم نوعا من (التدخل الهجومي) في أزمة الماركسية الأرثوذكسية هذا التدخل الذي فسره (كورش) على انه: (اخذ في الاعتبار أسباب الأزمة، دون إخفاء عمقها وتناقضاتها فمثلما رفض هولاء المفكرون طروحات الاشتراكية الإصلاحية، ورفضوا كذلك الطروحات اللينينية ، ولم يسقطوا في وهم إعادة بناء عقيدة أصيلة وواضحة ، ولا يوجد إي عضو منهم ذهب ضحية التصور السائد بان الاتحاد السوفيتي قد حقق الاشتراكية)[٢١]. وهكذا فان منظري مدرسة فرانكفورت تأثروا بالماركسية حتى عدّ البعض أن هذه المدرسة ليست إلا فرعا من فروع الماركسية ، لكن أصحاب النظرية

النقدية وان تبنوا الماركسية كمبدأ أو كمنهج فأنهم لم يلتزموا بها كليا ولم يتشبثوا بمقولاتها المتمحوره حول نقد النظام الاقتصادي والرأسمالي وحول الايدولوجيا بصفة عامة[٢٢]، بل تركزت ماركسيتهم على نقد الاغتراب والأسباب الكامنة وراءه في المجتمعات الصناعية القائمة على الكليانية والمعقولية التقنية والبيروقراطية التي ادعت التقدمية وتباهت بالهيمنة على الطبيعة وعلى الإنسان في العالم الشيوعي والرأسمالي، ولم يكن المصدر الأساس لهذا النقد هو النظرية النقدية برمتها ولا الارتباط بالطبقة العاملة بقدر ما كان التأثر(بماركس) الشاب وخاصة في كتاباته الأولى وتحديدا في (مخطوطات ١٨٤٤)، وقد وجدوا في أرائه تأكيدا لاغتراب الإنسان وعرفوا أن نقدهم لها لا ينبغي أن يقتصر على الإصلاح الاقتصادي والسياسي وعلى (وثنيتها السلعية)– حسب المفكر الماركسي جورج لوكاتش– وعقلانيتها المزعومة التي تقف حجر عثرة أمام كل حياة إنسانية أصيلة وهذا ما حاول القيام به (ادرنو وهوركهايمر) في كتابهما المشترك (جدل العقل)[٢٣]. وقد انطلق (هابرماس) من فكرة إن الماركسية فكر يحتوي على قدرة نقدية هائلة لكل ما هو عام وشامل ، وقد طرح في نفس الوقت مشروع إعادة (توجيه الماركسية)، وإذا كان (ماركس) قد قلب الجدل الهيجلي على رأسه وجعله يسير على قدميه كما يقال فان (هابرماس) هو أيضا قلب الماركسية على رأسها لتسير على قدميها وذلك استنادا على عقلانية (ماكس فيبر)، لكن رغم المكانة التي تحضى بها الماركسية في مدرسة فرانكفورت فإنها لم تسلم من النقد خاصة في شقها التقليدي والستاليني الدوغمائي، اذ عدّ رواد المدرسة إن الماركسية لم تعد تواكب التغيرات التي تحدث في العالم الرأسمالي، وان الرهان على الطبقة العاملة في القيام بالثورات أصبح شبه مستحيل في مجتمع استطاع احتواء هذه الشريحة الواسعة، ليراهنوا على فئات أخرى من قبيل الطلاب والأقليات العرقية كطليعة إستراتيجية للتغيير وهذا ما تبين جليا في أحداث (١٩٦٨) في فرنسا وفي أمريكا حين رفض الطلاب الأمريكيين الحرب على فيتنام[٢٤].

٢– تأثير ماكس فيبر : تعد كتابات (ماكس فيبر) حول العقلانية من إحدى المرجعيات الأساسية لمدرسة فرانكفورت، وقد ظهرت بوضوح في كتابات (ماركوز)

وخاصة كتابة (الإنسان ذو البعد الواحد)، كذلك في حديثة عن منطق الهيمنة وهو المفهوم الأساسي الذي أضحى مبدأ جوهريا لمدرسة فرانكفورت في أوج ازدهارها ويعني أن السيطرة على الطبيعة من خلال العلم والتكنولوجيا تنشأ عنه بالضرورة شكلا جديدا من التسلط على الإنسان [٢٥]، ويمكن إن ندرج وجهين رئيسيين للتشابه بين مدرسة فرانكفورت وكتابات (ماكس فيبر)[٢٦]:

الوجه الأول: هو أن العقلانية التقنية أو الترشيد قد تم تصورهما كقوة مجردة تشكل مجتمعا يقع خارج نطاق التحكم البشري، إذ إن المنطق الداخلي للنظام الذي خلقه العلم والإدارة العقلانية يقوم بهذا العمل على نحو ما من وراء ظهر الإفراد أو الجماعات الاجتماعية ألمعينه وانه يقوم بهذا – إي العمل – أيا كان الشكل الظاهري للمجتمع إي بصرف النظر عما إذا كان المجتمع رأسماليا او اشتراكيا ، شموليا أو ديمقراطيا ، وبهذا المعنى يتم إحلال مفهوم (المجتمع الصناعي) محل (المجتمع الرأسمالي)، وقد برهن (ماركوز) على مقولات(فيبر) بقوله:(...ليس تطبيق التكنولوجيا فحسب، بل التكنولوجيا نفسها، هي التي تمثل تسلطا على الطبيعة والإنسان بطريقة منهجية علمية ومحسوبة وماكرة ، وان الأهداف والمصالح المحددة لهذا التسلط لا يتم دسها على التكنولوجيا فيما بعد ومن الخارج، وإنما هذا يدخل في تصميم بناء الجهاز التقني).

أما الوجه الثاني: يمكن العثور على وجه التشابه في النزعة التشاؤمية التي تنشأ من تفسيرهما للمجتمع الصناعي الحديث، فإذا كان (فيبر) ليبرالي يائس– على حد تعبير توم بوتومور– فان مفكري مدرسة فرانكفورت وخاصة (ماركوز) يمكن وصفهم بأنهم (راديكاليون يائسون)– حسب بوتومور– إذ ينظر (ماكس فيبر) ومعه رواد مدرسة فرانكفورت إلى إن التوسع الأكثر أو الأقل قسوة للترشيد والعقلنة يعني أن المجتمع سيصبح عرضه للتسلط من جانب علاقات اجتماعية ذرائعية محضة وسيصبح (قفصا حديديا ودولة للتحجر الآلي) تختنق فيه الابدعية الفردية والقيم الشخصية. أن تشاؤمية (ماركوز وهوركهايمر) فيما يخص مصير الفرد هي من نفس تشاؤمية (فيبر) فالعقلانية التقنية[٢٧]، إي العقل الذرائعي هو الذي يسود الحياة الاجتماعية وان بقيت

قوى قليلة تعارضها ، وهذا ما يخلص إلية (ماركوز) في كتابه (الإنسان ذو البعد الواحد) . وإذا كان الرواد الأوائل لمدرسة فرانكفورت قد اعتمدوا على كتابات (ماكس فيبر، وكارل ماركس) فان (هابرماس) كأحد رواد الجيل الثالث من المدرسة لم يكتفي بكتابات (ماكس فيبر وماركس) بل انفتح على كتابات سوسيولوجيين آخرين من قبيل (هربرت ميد) و (إميل دوركهايم)،[٢٨] إذ يؤكد (هابرماس) أن مفهوم التواصل بوصفه نظرية علمية قد بدأ مع السوسيولوجي (هربرت ميد) في نظريته المرتبطة بالتفاعل الرمزي ، إذ دافع – (هابرماس) – عن فكرة إن التواصل هو المبدأ المؤسس للمجتمع، أما فيما يخص (دوركهايم) فيتجلى فكره بوضوح في كتابات (هابرماس) حول كيفية دمج الفرد في مجتمع طغت فيه القيم الفردانية، ويظهر ذلك في حديث (هابرماس) عن الفضاء العمومي وكيفية تحقيق الديمقراطية ففي كتابه (نظرية العقل التواصلي) يخصص فصلا مطولا للحديث عن (دوركهايم وميد) قائلا : (... إن تحول البراديغيم الذي انتقل من الفعل الغائي إلى الفعل التواصلي بدأ مع ميد ودوركهايم ، فماكس فيبر ودوركهايم وميد ينتمون إلى جيل المؤسسين للسوسيولوجيا الحديثة)[٢٩] ، من خلال ما تقدم يتبين لنا تنوع المصادر الفكرية التي اعتمدت عليها مدرسة فرانكفورت النقدية والتي أسهمت في إثراء وتنوع أفكارها ومواقفها إزاء القضايا الفكرية المتنوعة .

المبحث الثالث : المنطلقات الفكرية لمدرسة فرانكفورت النقدية

أولاً: نقد النزعة الوضعية والتجريبية

وجه الرعيل الأول لمدرسة فرانكفورت انتقاداته الحادة إلى النزعة العلمية المفرطة وأنساقها التي تحولت إلى إيديولوجيات تستند إلى يقين معرفي ومعتقدات إيمانية فكلها في نظرهم قد غدت أنظمة معرفية مغلقة تعتمد أشكالا تنظيمية مقننة للحياة الاجتماعية، من خلال إسقاط آليات فهم الظواهر الطبيعية على الظواهر الاجتماعية بمعنى أنها أصبحت إيديولوجيات شمولية تنظم علاقات الإنسان بالإنسان، والإنسان بالأشياء مما حدا برواد مدرسة فرانكفورت إلى رصد تحول العقلانية كإيديولوجية ،

ومحاولة الكشف عن مكامن التسلط فيها ومحاربة نزعتها الوثوقية[٣٠]، وعليه جاءت النظرية النقدية كرد فعل على الوضعية التي كانت تعنى مع (اوغست كونت) بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية موضوعية تجريبية باستخدام الملاحظة والتكرار والتجربة، وربط الأسباب بمسبباتها بغية فهم الظواهر العلمية فهما علميا دقيقا، إذ كانت الوضعية تهتم أيضا بوصف الظواهر دون تفسيرها، لان التفسير يرتبط في منظور الوضعية بالتأملات الفلسفية والميتافيزيقية، كما استبعدت الوضعية البعد الإنساني والتأملي والأخلاقي في عملية البحث [٣١]، وبناءاً علية وجهت مدرسة فرانكفورت إلى هذه النظرية الوضعية انتقادات قاسية وفي هذا الصدد عبر (بوتومور) عن ذلك بقوله: (اتخذ أصحاب مدرسة فرانكفورت موقفا مناهضا لها فانتقدها ادرنو لعجزها عن اكتشاف المصلحة الذاتية التي تسهم في تحقيق تقدم موضوعي، بسبب القصور الكامن في أسسها المنهجية ، وفشلها في إقامة صلة قوية بين المعرفة من ناحية والعمليات الاجتماعية الحقيقية من ناحية أخرى، كما انتقدها هابرماس بسبب طبيعتها المحافظة ، وقصورها عن فهم العلاقة الخاصة بعلم الاجتماع والتاريخ انطلاقا من أن علم الاجتماع الوضعي لا يأخذ في اعتباره دور التحولات التاريخية في تشكيل المجتمعات)[٣٢].

إن المعرفة العلمية التي سخرت لفهم الطبيعة والتحكم فيها تم استخدامها أيضا للتحكم بالإنسان، بمعنى إن منطق النظم الذي يصوره الإنسان للسيطرة على الطبيعة ، تم نقله بالكامل للتحكم في الأفراد والجماعة ، وهذا ما يتبادر إلى الأذهان عند فحص مختلف التنظيمات القانونية والإدارية، وأشكال الترشيد والضبط والتقنين والعقلنه لمختلف جوانب الحياة في العالم المعاصر، فكل هذه الآليات تعمل وفق نظمها ومنطقها الداخلي وتكرارها إنتاج مجتمع طبقا لمقاسات ومواصفات معينة، لكن مدرسة فرانكفورت ترفض إي تناظر أو تماثل تجريبي قد يعقد بين الظواهر الطبيعية ، يمكن صياغته في قواعد وقوانين محددة ، على اعتبار إن السلوك الإنساني لا يمت بأي صله للقواعد التي تتحكم في ظواهر الطبيعة، الأمر الذي جعل رواد مدرسة فرانكفورت يقفون في مواجهة معارضة للنزعة الوضعية التجريبية، ولعل ما يميز هذا النقد العنيف هو

محاولة الكشف عن العقلانية بوصفها (آليات للتسلط والهيمنة) التي طورت العقل التقني تحت ستار العلم ومن اجل العلم وبدعوى الحياد والموضوعية العلمية[٣٣] ، ويمكن إجمال النقد الموجه من قبل مدرسة فرانكفورت للاتجاه الوضعي في ثلاثة انتقادات[٣٤]:

١-إن الوضعية كنظرية للمعرفة وكفلسفة للعلم تعد طريقا قاصرا ومضللا ، ولا يمكن أن نصل من خلاله إلى فهم صحيح للحياة الاجتماعية .

٢- إن هناك نوعا من الارتباط بين الاتجاه الوضعي وبين قبول ما هو قائم ، او بعبارة أخرى أنهم يربطون بين الاتجاه الوضعي وبين الاتجاه اليساري المحافظ .

٣-أن الوضعية يمكن أن تساعد على خلق شكل جديد من أشكال التسلط التكنوقراطي ، فمفهوم التسلط وفقا لكتاب (جدل التنوير) الذي كتبه (هوركهايمر وادرنو) معا ، لم يعد ينظر إليه على انه تسلط من خلال طبقة معينه ، وإنما هو تسلط يتم من خلال قوة الشخصية هي (التكنولوجيا) .

ثانياً: نقد التنوير :التنوير من المصطلحات العلمانية الغربية ، الأوربية الأصل والنشأة وهو مصطلح له فلسفته الخاصة ودلالته الواضحة والمؤثرة في عالم الأفكار ، أما عصر التنوير فهو احد العصور المهمة التي مر بها تاريخ الأفكار في أوربا وعبر عن بدايات لفلسفات وضعية كان لها اثر بارز في الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر[٣٥].

أن مصطلح التنوير نشأ في ظروف تاريخية عاشتها دول أوربا شرقا وغربا، اذ كانت ثقافة الشعوب في أوربا خلالها مقصورة على ما تمليه عليها الكنيسة ورجاها،[٣٦] وهو مصطلح يعبر عن (عملية متواصلة من تشغيل العقل وترشيد الفكر وإحلال المنطق محل الخرافات)[٣٧]. لقد حمل هذا العصر (الخطاب ألرسولي لروسو وكانط وديدرو وديكارت ...)[٣٨] ، إن الأفكار التي طرحها التنوير كانت في البداية مجرد أفكار فلسفية لكنها بمرور الزمن تحولت إلى أفكار سياسية أثرت في النظريات السياسية التي حكمت السياسات الداخلية والخارجية للدول[٣٩]. حاول فلاسفة التنوير – فولتير، مونتسكيو، ديدرو ، روسو، مندلسون، كانط وغيرهم – إشاعة فلسفات متعددة منها العداء للاكليروسية *حاولوا من خلالها تقويض سلطة الاكليروس في المجال الواقعي

هذا من الناحية السياسية ، أما من الناحية الاقتصادية فاغلب النظريات التي أوردها عصر التنوير هي تتابع الوضع الاقتصادي المادي للشعوب ليشكل الحافز الأساسي للتنمية والتقدم لان الوضع الاقتصادي الجيد سيحفز على استمرار الإنتاج ويقوي الإرباح ويرفع من مستوى دخل الفرد [٤٠]، فقد ارتبطت التجارة في هذه المرحلة بالليبرالية وهذا ما ساعد على طغيان العقيدة الليبرالية على العقائد الأخرى في فكر الاقتصاد السياسي الغربي ، وأشهر النظريات الرأسمالية برزت في هذا العصر على يد (ادم سمث) – مفكر اقتصادي رأسمالي ومن ابرز المنظرين التاريخيين للرأسمالية [٤١]، في حين حاول رواد التنوير دينيا التأسيس لحرية الدين وهذا مما جعله عصرا يوصف بالإلحاد من الاكليروس الكاثوليكي ، وهذا ما أسهم في بروز المذهب الطبيعي – الإيمان بالقوة العليا لخالق الكون دون الإيمان بالوحي[٤٢] – والرأي الأقرب ان الاكليروس حاولوا تزييف الحقائق التي توصل إليها فلاسفة التنوير واتهموهم بالإلحاد لان فلسفتهم تختلف عن تلك الفلسفة التي حاول الاكليروس ان يشيعها في المجتمع الأوربي للهيمنة علية فكريا فالملحد عند الاكليروس هو من لا يطيع ما يأمرون به وهم بهذا يحاولون إن يجعلوا من أنفسهم إلهة ومن المخالفين عصاه، فالملحدون هم الخارجون عن المألوف الكنسي وهم الفلاسفة .

لقد بدأ أفول عصر التنوير مع مطلع القرن التاسع عشر، بعدما توصلت حركة التنوير الى درجة متطورة من التأسيس على يد (كانط) في ألمانيا، فلم نعد نشهد نظريات علمية كما كان لـ (كلبر، غاليلي، نيوتن) وحتى الفلسفة وقفت أبنيتها المحكمة عند (كانط)، بل لم يعد القرن التاسع عشر وما بعده يشهد سوى شروح لمذاهب، أو تلقين لمذاهب فلسفية مختلفة على نحو الافلاطونية المحدثة ، الديكارتية الجديدة ، ومراجعات هنا وهناك[٤٣].

لقد كانت بداية النزول في اتجاه مضاد مع حركة الرومانتيك**********– الرومانسية – التي انتشرت في باقي دول اوربا، فبعدما كانت حركة التنوير تقول بالفردية والذاتية وتحلل المرء من أثار العصور الوسطى، والفصل بين عالم التجربة وعالم العقل المجرد، على العكس من ذلك كله حركة الرومانتيك أرادت أن تزج بالفرد وسط الأمة،

وان تخضعه خضوعا تاما لسلطان الدولة والكنيسة ، ولظروف الزمان الذي وجد فيه والجنس الذي ينتمي إليه والمكان الذي يقيم به ويحيا ماضيه كله في نفسه، ماضي أمته وتقاليدها وأساطيرها وأحداثها..فأصبح الإنسان كتلة من الماضي مرتبطة بمكان معين، ومحدودة بزمان معلوم، وبالتالي أصبحوا يقدسون العصور الوسطى ويعدونها أرقى العصور الإنسانية وأقربها الى تحقيق مثُلهم، بل لم يعودوا يفصلون بين عالم التجربة وعالم العقل المجرد بل يعدونهما من نسيج واحد لا وجود لأحد منهما دون الأخر(٤٤)، في حين الموقف الذي يتبناه العقلانيون المعاصرون من تاريخ الفلسفة هو موقف في الفلسفة وفي تاريخ الفلسفة غير أنهم لا يعتبرون أنفسهم امتدادا استمراريا لا للعقلانية الكانطية ولا للعقلانية الكلاسيكية، كون العقل في منظورهم يراجع نفسه ويعيد فيها النظر في ذاته باستمرار، فهو في نقاش أزلي وصراع ابدي مع ذاته، فالعقل لا يقر له قرار حركته الحقيقية هي النفي والتجاوز، نفي غير آلي، بل تركيبي وتوسعي(٤٥)، وهنا في هذا السياق النقدي للعقل والعقلانية النسقية السابقة، يبرز موقف النظرية النقدية من خلال(ارنست بلوخ ١٨٨٥-١٩٧٧) ابرز منظري المدرسة، في دراسته عن عصر النهضة وكل من (ادرنو وهوركهايمر) اللذين ألفا كتاب (جدل التنوير) واهتما بتقديم فلسفة غير تقليدية، لا تهتم بالاتجاهات النظرية في تاريخ الفكر قدر اهتمامها بالبنية العامة للمجتمع كما تنعكس في العقل، إذ بحثا مصائر العقلنة وإمكانيتها للتحرر رغم مشكلاتها الضخمة بإيقافها أمام محكمة العقل(كانط)، وحكمهما يمكن تبنية من خلال مسألتين: القول بان الأسطورة في زمانها تعقل، كما أن التعقل المعاصر أو التنويرية المعاصرة تتجه لتكون أسطورة من جديد. أما بالنسبة للأسطورة فقد أوضحاها بان الجماعات البشرية فيما قبل التاريخ حاولت التخلص من تحكم الطبيعة ..(٤٦) ، فالإنسان الأول القادر على الاصطلاح أو التعبير اتخذ الطبيعة موضوعا بان جعلها أداة أو وسيلة لإغراضه، ففي الأسطورة إعادة تشكيل للطبيعة حسبما يراه الإنسان. وهكذا فان الطبيعة ما تزال تقف في مواجهة العقل والتعقل باعتبارها مهددة(٤٧)، وفي هذا الصدد يقول (ادرنو): (... إن ما تحقق من تقدم في مجالات العلم والتقنية لم يحرر الإنسان من الخوف ولم يجعل منه سيدا ..تشيأ العقل وتشيأت الذات الإنسانية في

إطار الصيرورة والتقنية، وأضحى العقل نفسه مساعدا للآلة الاقتصادية التي تشمل كل شئ ، أنها تعمل كما لو كانت أداة كونية تناسب صناعة كل الآلات الأخرى العقلانية المحضة المثقلة بالأخطار شأن مداولات الإنتاج المادي المحسوبة جدا والتي لا يمكن للناس احتساب نتائجها)[٤٨]. وهكذا فان الحل ليس في الخروج على العقل أو إزالته، بل في إن يتعقل تعقله أو ينور العقل تنويره ، وعليه طرق (ادرنو) موضوع فلسفة التنوير من خلال إثارة أسئلة حول بنية العقل المعاصر .. فيتساءل هل الصورة التي وصلت إليها الحضارة هي نتيجة لفلسفة التنوير، التي استبعدت الأبعاد المختلفة للعقل وجعلته يقتصر على العقل العلمي والتكنولوجي، وتم استبعاد صورة العقل الأخرى ، مثل العقل الخيالي والأسطوري؟ ،(إن نقد التنوير هو نقد العقل ذاته)[٤٩] ، إذ نتيجة اتساع السوق وسيطرة العقل الحسابي أصبح الموجود المادي هو العقل الذي يتحكم في مصير الإنسان المعاصر وتم إغفال الإبعاد الأخرى كدور العلم التحريري للإنسان مثلا، اذ أصبح ضروري نقد العلم الغربي في صورته الجزئية التي ساهمت في تفتيت الوعي الإنساني وفي خلق أسطورة المردود والعقل الاستهلاكي– فأي نقد لهذه الحضارة يبدأ من نقد العقل – بحيث إذا كانت فلسفة التنوير تدعو إلى استخدام العقل في كل شئ فان (ادرنو) يدعونا إلى استخدام العقل في مجال جديد هو نقد العقل نفسه في استخدامه كبنية اجتماعيه للسيطرة والقمع[٥٠] ، ولذا يرى (ادرنو) إن فلسفة التنوير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قد خلطت بين استخدامات العقل المطلقة .إذ تم استخدام العقل في البحث في مجالات سبق (كانط) إن بين أنها تتجاوز قدرة العقل الإنساني ..أما القرن الثامن عشر الذي تنتمي إليه فلسفة التنوير لا يمثل إلا لحظة من لحظات تاريخ العقل لان فلسفة التنوير هي تجميع وتكريس لميراث العقل الذي تجاوز الحدود التي حددها (كانط) من قبل – حينما كان العقل هو القوة الفاتحة – ولان فلسفة التنوير اهتمت بدراسة جهد الإنسان في الإنتاج والتأثير على الطبيعة دون الاهتمام بالحركة الاجتماعية الناجمة عن ذلك ، وهكذا فان العقل الغربي مهدد منذ ولادته بخطر اللاعقل ، إذ كلما اكتسب العقل الدقة والسيطرة على موضوعة ازداد انغلاقا على نفسه لأنه يفرض على نفسه معايير الدقة التي يفرضها على الموضوع

الخارجي[٥١]. وبالتالي فان العقل في صورته الراهنة لا يقل عن الأسطورة – إذ وقع العقل فيما بعد أراد التحرر منه –كون المعرفة العلمية تسربت إلى العقل الفلسفي المعاصر، الذي أصبح يعتبر التقنية أو الآلة هي جوهر المعرفة الفلسفية والتقنية ، مما يعني التحول الكامل للعالم الطبيعي والاجتماعي – لأنها تؤثر في الذات والموضوع والعمل واللغة وكل أنماط العلاقة التي تربط الإنسان بالعالم– إي تحول العلم والتكنولوجيا والفلسفة إلى أدوات في خدمة السيطرة التي هي بمعنى من المعاني جوهر المجتمع الذي نشأ عنه هذا الاستخدام للعقل – إذن فهي عودة إلى اللاعقل إلى الخرافة وفي هذا الصدد يرى كل من (هوركهايمر وادرنو): (إن الانتحار الذاتي لعصر التنوير كان قد اجبر الفكر على تعطيل نفسه حتى حد السذاجة مقابل التمسك بالتقاليد الفكرية الجديدة للفكر الوضعي الذي اختار لنفسه طريق التحول نحو السلبية وتحطيم ما بناه بنفسه)[٥٢] ، من خلال ما تقدم نجد إن كلا من (هوركهايمر وادرنو) حاولا الإجابة على تساؤل مفاده : كيف إن التنوير الذي كان في البداية تعبيرا عن فكرة التقدم الإنساني وعن فكرة تحرير الإنسان، سرعان ما تحول إلى أسطورة تخفي السيطرة او الهيمنة ؟ أو بعبارة أخرى كيف نفسر تدمير العقل التنويري لنفسه بحيث أصبحت الإنسانية تخوض في حالة جديدة من البربرية بدل ان تصل إلى حالة إنسانية حقيقية ؟ (هوركهايمر وادرنو) بان ذلك تم عندما تحول العقل أداة للسيطرة على الطبيعة ثم على الإنسان، والمقصود بالعقل هنا : العقل الاداتي أو العقل التقني القائم على التكميم والقياس والفاعلية والموجّه نحو ما هو عملي وتطبيقي ونفعي[٥٣]. بعبارة أخرى أن التنوير كان يهدف في البداية إلى تحرير الإنسان من الخرافة والسحر والمعتقدات الفاسدة قصد إخراجه من وضعه السلبي والدفع به ليمارس حريته ويحقق سعادته وتقدمه، غير أن التنوير انقلب إلى نقيض ذلك تماما، ذلك أن حركة التنوير، حتى وان ادّعت تحرير الإنسان من عبودية الخوف والأساطير وأدخلت العقل كأداة حاسمة في التعامل مع الأشياء والعلاقات الطبيعية والتاريخ، فإنها في نهاية المطاف استسلمت لأساطير من نوع جديد[٥٤]، ولهذا أكد كل من (هوركهايمر وادرنو) عبر جدل التنوير إلى الوقوف على الأزمة التي أصبحت تعرفها الحضارة الغربية منذ بداياتها

الأولى، ومن مظاهر هذه الأزمة التي عرفتها هذه الحضارة ما يمكن أن نسميه جدلية التنوير والأسطورة أو العقل واللاعقل، وهكذا فان وعود التنوير بتحرير الإنسان من جميع السلطات المتحكمة فيه والمهيمنة عليه لم يعد من الممكن تحقيقه في ظل العقلانية ولاسيما إن هذه العقلانية أصبحت اليوم اداتية [٥٥]، وبهذا المعنى ارتد العقل وحطم نفسه وانتهى للتحول إلى الأسطورة إي إلى اللاعقل، وهذا ما أشار إليه (هوركهايمر وادرنو) بقولهما: (كما إن الأساطير قد أكملت التنوير ، فان هذا التنوير قد ارتبك أكثر فأكثر في الأساطير، استقى التنوير جوهر مادته من الأساطير مع انه كان يريد القضاء عليها ، وحين مارس وظيفة الحكم ظل واقعا أسير سحرها)[٥٦].

يبدو من خلال ما تقدم ان (هوركهايمر وادرنو) قد افلحا في نقد التنوير وعقلانيته التي أخذت طابعا اداتيا ، ولهذا وجدنا إن مختلف نصوص جدل التنوير قد انصبت على إظهار التأثير العميق الذي مارسته العقلانية الاداتية على مسار الحضارة الغربية، اذ أصبحت تمثل تسلطا على الطبيعة والإنسان بطريقة علمية ومنهجية ومدروسة ، وطبيعي ان يكون التشيؤ والاغتراب والسيطرة الذي يطبع هذه الحضارة من أهم المقولات التي أكدها (هوركهايمر وادرنو) على اعتبار ان الحضارة الغربية إذا بقيت حبيسة هذه المقولات لا تساعد على تحقيق حرية وسعادة الإنسان بقدر ما تعمل على استلابه وإخضاعه باستمرار، ولكن وعلى الرغم من ذلك فان (هوركهايمر وادرنو) لم يكن موقفهما النقدي من العقلانية الاداتية ذريعة لترك مشروع التنوير لان الموقف التقليدي النقدي كان موجها في الأساس إلى التحريف المستمر لقيم التنوير، والى تلك السلبيات التي ظهرت في مسار الحضارة الغربية والتي بلغت ذروتها في ظل المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا .

ثالثاً: نقد العقلانية الاداتية :

يمكن تناول الموضوع عبر ثلاثة نقاط أساسية:

١- العقلانية الاداتية: العقلانية هي فلسفة إخضاع جميع المعارف والعلوم إلى منطق العقل، وإدراك أن كل ما يدركه العقل هو نسبي وهذا مما يجعل الأفكار قابلة

للنقد والتطوير، إذ يعد مفهوم العقلانية من أهم المفاهيم التي شكلت المشروع الحضاري الغربي في مختلف أطوار تأسيسه وتكوينه وخاصة عصر التنوير الذي ارتبط أيضا بالحداثة وشكل نقطة تحول أساسية في مسارها[٥٧]. وقد قامت النظرية النقدية بنقد العقلانية التنويرية، إذ وجد مفكروا مدرسة فرانكفورت انه لكي نحيط بمفهوم العقلانية لابد من الانطلاق من السياق الفلسفي الذي نجد ابرز ممثليه الفيلسوف الفرنسي(روني ديكارت) والانكليزي (فرانسيس بيكون)، إذ يعد (ديكارت) مؤسسا لبداية العقلانية، لأنه عمل على تأسيس كل شئ بردة إلى (الذات) عن طريق (الكوجيتو) وقد صاغها في عبارته المشهورة (إنا أفكر إذن أنا موجود)[٥٨] ، فالوعي بالأشياء والموجودات الخارجية حسب (ديكارت) ترد إلى الذات العاقلة كونها الأساس الثابت لكل يقين ، وعندما وضع الذات في مقابل الموضوع تأسست تلك الثنائية الحادة بين الذات العارفة (إي الإنسان) والموضوع المدروس الخاضع للمعرفة (إي الطبيعة) . وعلى هذا الأساس فان الذات – وهي هنا تمثل جملة القدرات والملكات العقلية والنفسية التي يغلب عليها الطابع الفطري– هي معيار كل معرفة ، فالذاتية تعبر عن نزعه فلسفية قوامها رد كل حكم قيمي إلى أفعال أو أحوال فردية واعية[٥٩]، والذاتية مذهب فلسفي يدل على أن المعرفة ذاتية وليس حقيقة موضوعية خارجة عن ذات الإنسان، كما تعني الذاتية(الجرأة على اقتحام كل الميادين، وكل تمظهرات الحياة وتعابيرها، لمعرفتها على حقيقتها)[٦٠]. وقد عبرت الذاتية عن نزعة تحررية حاولت أشعار الإنسان بفرديته واستقلاله عن الآخرين، ولهذا فان الكثير من الاتجاهات الفكرية التي ولدت في الفكر السياسي الغربي الحديث كانت ذاتية في طابعها العام وهذا أدى إلى بروز فلسفات عديدة في مرحلة ما بعد القرون الوسطى حاولت إن تعبر بصورة أو بأخرى عن الذاتية[٦١]، فبعد العصور الوسطى ابتدأت الذاتية بالفكر اللوثري من خلال تحرير (لوثر) الفرد من الكنيسة بتأسيسه الذاتية الدينية بربط عبادة الفرد بربه مباشره لا عن طريق الكنيسة، أما (ديكارت) فقد أسس الذاتية الفلسفية التي عبر عنها بفلسفة(إنا أفكر إذن إنا موجود)، في حين أن الذاتي عند (كانط) هو مميز الإرادة المحضة بوصفها لا تقبل التعيين ولا التحديد إلا بمقتضى

جوهرها الخاص بها، إي بمقتضى الشكل الكلي الوحيد للقانون الأخلاقي، بمعزل عن كل مؤثر ملموس[٦٢].

ان نمو المعرفة العلمية – التي أخذت طابعا اداتيا – أدت إلى تقلص أفاق حرية الإنسان وسعادته وكذلك استقلاله الذاتي باعتباره فردا ، بل إن قدرته على التخيل والحكم المستقل تناقص أيضا[٦٣]، لهذا انشغلت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت كثيرا بمصير الإنسان الغربي المعاصر الذي تقلصت مساحة حريته كما قلنا ،على الرغم انه يعيش اليوم في مجتمعات جعلت الحرية والسعادة والتقدم شعارا لها، غير انه في حقيقة الأمر هناك قهر يمارس عليه بصور مختلفة داخل المؤسسات السياسية والإدارية والاقتصادية وفي مقدمتها مؤسسات الدولة التي أصبحت في الوقت الحاضر تستند في نشاطاتها ووظائفها إلى المعرفة العلمية والتقنية والى الخبراء المختصين في مختلف المجالات، ولهذا استطاعت الدولة (أن تتحول إلى نظام شامل للقمع والقوة والسيطرة ، فعرضت الإنسان لإشكال مختلفة من القهر الظاهر والباطن، والقمع الواعي وغير الواعي الذي ينطلق من أجهزة الإنتاج الضخمة، والمؤسسات الإدارية والبيروقراطية والاستهلاكية والإعلامية التي تشبه آلات هائلة يحاول الناس أن يكيفوا أنفسهم مع ضغوطاتها ومطالبها)[٦٤] ، وقد بلغت في ذلك حدودها القصوى حسب مفكري مدرسة فرانكفورت في النظم الشمولية التوليتارية، التي بلغت أوجها بعد صعود النازية وما حل بأوربا في تلك الفترة التاريخية المأساوية من تاريخ الحضارة الغربية وما عرفته من وحشية وبربرية فتحول التقدم إلى انتكاسه وتراجع خطير أصبح يهدد مصير هذه الحضارة والتي تجلت في مأساة الحرب العالمية الثانية، وما خلفته هذه الحرب من ضحايا لم تكن ذات طابع تقليدي وإنما استندت بالأحرى على المعرفة العلمية والتكنولوجية المتاحة في تلك الفترة التاريخية، ويظهر ذلك في طبيعة الأسلحة والعتاد والوسائل الحربية التي استخدمت من طرف الدول المتحاربة وخاصة ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إي تلك الدول المتقدمة تكنولوجياً[٦٥].

يمكن القول إن العقلانية التي تبلورت في الفكر الفلسفي الغربي منذ عصر التنوير بعده الإطار المرجعي الفكري والتاريخي للحضارة الغربية وقد ارتبطت بفكرة السيطرة على

الطبيعة ثم على الإنسان أيضا بعد تعميم النموذج العلمي– التقني حتى يشمله ويستوعبه، إذ أصبح يعيش الاغتراب والتشيؤ فقد حريته واستقلاله الذاتي. إذن فالعقلانية الاداتية هي عبارة عن نمط من المعرفة تقوم بتوظيف وتوجيه العقل نحو التجريبية التي قصد بهام فكروا مدرسة فرانكفورت نوع التفكير السائد في المجتمع الحديث والذي وصفه ماركوز بالتفكير ذو البعد الواحد الذي يتضح بأجلى صوره في أسلوب التفكير العلمي والتقني لهذا المجتمع. أن العقلانية الاداتية هي عقلانية السيطرة ذاتها فبقدر ما تنمو المعرفة التقنية بقدر ما يرى الإنسان أن أفاق تفكيره تتقلص وينقص نشاطه واستقلاله الذاتي بوصفه فرداً، فالعقل التنويري يصبح بتحوله إلى عقل اداتي(عقل توليتاري)، والعقلنة المتطورة تنزع دوما نحو جوهر العقل نفسه[٦٦]، وفي مقابل العقلانية الاداتية وضع مفكروا مدرسة فرانكفورت العقلانية النقدية وذلك قصد إعطاء نفس جديد للفكر الفلسفي الغربي حتى يستأنف مهامة النقدية.

٢–العقلانية النقدية: تقوم بالأساس على جعل النقد الأسلوب الرئيس في النظر إلى الأشياء والمواقف والأفكار ، ولهذا فهو لا يختزل في الجانب المعرفي وإنما يتوجه أيضا إلى الواقع الاجتماعي الملموس[٦٧]، وبهذا فهو نقد اجتماعي قريب من المعنى الذي مارسه (كارل ماركس) لتفسير الواقع الاجتماعي الذي يصبح معه أكثر حيوية وأرقى من الناحية الإنسانية إي النقد الذي يرتبط بالممارسة، لأنه لا معنى لنقد منفصل عن الواقع الملموس، إن العقلانية النقدية – حسب هوركهايمر وادرنو – قادرة على تجاوز الوضع القائم على السيطرة ، لذا فهي لا تخضع لما هو قائم وتقبله وإنما يمكن إن تقوم بجهد نقدي تجاه الأفكار والمؤسسات السائدة والمهيمنة وبالتالي تتحقق عملية التحرر الإنساني ويتم تجاوز الاغتراب والتشيؤ، وباختصار شديد يتحقق خلاص الإنسان، غير أن هذا التحرر أو الخلاص لا يمكن أن تنجزه الطبقة العاملة بعدها ذاتا تاريخية يقع على عاتقها تحقيق التجاوز التاريخي بحكم أنها تحمل بذور الثورة ضد الواقع اللانساني القائم ، لان الطبقة العاملة في نظر مفكري النظرية النقدية وقد تم استيعابها داخل المجتمع المتقدم تكنولوجياً، وبالتالي أصبحت عاجزة وغير قادرة على تأدية دورها الثوري ومهامها التاريخي، وقد كان موقفهم النقدي هذا نوعا من الابتعاد

الفكري عن الماركسية، لهذا نلاحظ إن مفكري النظرية النقدية – خاصة الجيل الأول – قد عجزوا عن إيجاد بدائل واقعية وملموسة لتغيير الواقع القائم ووضع حد لـ (طغيان) العقلانية الاداتية، ولهذا فضل (هوركهايمر) في أواخر حياته ان يكرس جهوده في مجال اللاهوت الديني اليهودي وصاغ أفكاره الأخيرة في أطار هذا اللاهوت، مؤكدا بأنه لا يمكن ان ينفصل الفكر الفلسفي عن البعد الديني، أما (ادرنو) و (ماركوز) فقد اتجها نحو البعد الفني والجمالي باعتباره أفقا يمكن أن يتحرر فيه الإنسان من طغيان العقلانية[٦٨].

٣–العقلانية التواصلية: تعني بأن العقل يقوم على أساس تنمية البعد الموضوعي والإنساني،ومن هنا جاءت أهمية العمل الفلسفي الذي انجزه (هابرماس) وان كانت لدية اختلافات مع أقطاب الجيل الأول– (هوركهايمر، وادرنو، و ماركوز)– فمن خلال نزعته النقدية التي اكتسبها باحتكاكه بهولاء لقد عمل (هابرماس) على تجاوز الأخطاء التي وقع بها الجيل الأول المتمثل في عدم قدرتهم عن إيجاد بديل عملي وملموس للعقلانية الاداتية ، إذ ميز (هابرماس) بين مستويين من العقلانية[٦٩]: الأولى / اداتية تستند الى معرفة تجريبية ورياضية وتخضع للقواعد التي تهدف غالى التحكم او السيطرة، والثانية / تواصلية التي تعني ذلك التفاعل الذي يحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية أو الإنسانية في حقبة تاريخية ما بواسطة الرموز والتي تخضع للمعايير التي تحدد تطلعات إفراد المجتمع وتصوغ فهم هولاء لذواتهم ، ويتحدد ذلك في المجالات الأخلاقية والجمالية والسياسية، قصد تحقيق التفاهم والاتفاق، ولهذا يتم استبعاد الإكراه والعنف والسيطرة، لان الفعل التواصلي عنده يرتكز على مقاربه تهدف إلى تحقيق اتفاق مبني على قناعات متبادلة بين إفراد المجتمع فيتحقق إجماع عقلاني يمكن أن يغير مسار العقلانية الاداتية ، ولهذا يجب التفكير في العقلانية التواصلية ، كما ذهب إلى ذلك (هابرماس) في احد أشهر مؤلفاته .

يتبين لنا من خلال ما تقدم أن مفهوم العقلانية في سياقه الفلسفي الغربي هو مفهوم متحول على الدوام، فهو يتخذ صورا وأشكال مختلفة، عقلانية اداتية، عقلانية نقدية، عقلانية تواصلية ...الخ ، وقد عملت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت على تتبع

مسار هذه الأشكال المختلفة قصد الوصول إلى صورة العقلانية المناسبة التي يمكن أن يحقق فيها الإنسان حريته وسعادته .

الخاتمة :

في ختام بحثنا الموسوم بـ (مدرسة فرانكفورت النقدية: الأسس والمنطلقات الفكرية) توصلنا إلى النتائج الآتية :

١ –شكلت مدرسة فرانكفورت النقدية انعطافه مهمة في مسيرة الفكر الأوربي الحديث إذ كان لهذه المدرسة الأثر الكبير والفاعل في صياغة نظرية نقدية تتعامل مع السوسيولوجيا، الفلسفة، والسياسة ، والثقافة كأبعاد متداخلة ومتشابكة في عملية تكوين ودراسة النظريات الاجتماعية والأفاق المعرفية والحضارية التي رافقت التطورات والتحولات التي شهدها المجتمع الأوربي في ميادين الاقتصاد والسياسة، وبروز النظام الرأسمالي كعامل حاسم ترك أثاره على الأدبيات الفلسفية والاجتماعية .

٢ –اختلفت النظرية النقدية عن الماركسية في :

أ – ترى الماركسية إن الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية يتم بواسطة الفعل الثوري للبروليتاريا التي تعمل على تدمير الجهاز السياسي للرأسمالية والإبقاء على علو وسائل الإنتاج ، أما النظرية النقدية فترفض هذه الرؤية وترى أن التكنولوجيا (من وسائل الإنتاج) تعد في حد ذاتها إحدى وسائل القهر وهي تمثل الاستخدام السيئ للعلم والحضارة .

ب – ترى النظرية النقدية أن العقل هو الوسيلة الأساسية للتحرير وليس الفعل الثوري الذي تؤكد علية الماركسية .

ج – تؤكد النظرية النقدية على أن الثقافة الإيديولوجية تلعب دورا هاما ومستقلا في المجتمع وليست انعكاسا حتميا للواقع الاقتصادي وهي بالتالي ترفض فكرة البناء الفوقي والتحتي للماركسية .

٣– اختلفت النظرية النقدية مع الوضعية في :

أ – تركز الوضعية على العقل الأدائي الذي يعلي من شأن الوسائل بينما تركز النظرية النقدية على العقل الموضوعي الذي يؤكد على الغايات .

ب– تؤكد النظرية النقدية على العلاقات الجدلية بين الفرد والمجتمع بينما ترى الوضعية أن الإفراد كائنات سلبية في مواجهة المجتمع .

ج – تركز الوضعية على شكل الظاهر ودراستها من الخارج فيما تهتم النظرية النقدية بدراسة الجوهر الذي يكمن خلف الشكل الخارجي للظواهر . وفي الختام نقول ، انه على الرغم من انطفاء شمعات اغلب الرواد الكبار لمدرسة فرانكفورت النقدية ، إلا أن أفكارها الفلسفية والاجتماعية النقدية مازلت حية وهذا دليل على حيويتها وقوة تأثيرها وفاعليتها التي مثلت جيلا غير اعتيادي مرت لحظته التاريخية مرورا متميزا وغير اعتيادي أيضا .

هوامش البحث

* التشيؤ: مصطلح صاغه (لوكاتش) ليصف ما سماه ماركس(التشيؤ السلمي) الذي يذهب إلى أن الإنتاج في النظام الرأسمالي يركز اهتمامه على السلعة المنتجة من حيث أنها حصيلة عمل مبذول وأدوات إنتاجية، وبالتالي تصبح قيمتها كامنة في سعرها أو ما يسمى بالقيمة التبادلية وليس قيمتها الاستخدامية. ينظر: توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت ، ترجمة : (سعد هجرس)، ط٢، دار اويا ، ليبيا ، ٢٠٠٤ ، ص ١٧٧.

(١) حسن مجيد العبيدي ، فلاسفة مدرسة فرانكفورت ونشأتها ، ١٢/ ك٢ / ٢٠١٣ : www.kitabat.com

** معهد تابع لجامعة فرانكفورت والذي عرف فيما بعد باسم مدرسة فرانكفورت، في عام ١٩٢٤ التقى عشرون مفكراً في احد فنادق فرانكفورت وعقدوا اول ندوة(حول الماركسية) وكان من بين المشاركين في الندوة كارل كورش، جورج لوكاش، فريدريك بولاك، فليكس فايل، كارل واغست فتنوغل، وهوركهايمر، وبدأت الندوة بنقاش المواضيع التالية: الماركسية والفلسفة، الاستقلالية النسبية للعلوم الاجتماعية، أزمة علم الاجتماع وارتباطها بأزمة المجتمع البرجوازي، أزمة المجتمع الرأسمالي، وهناك تبلورت فكرة تأسيس معهد للأبحاث الاجتماعية في جامعة فرانكفورت، وقد تعهدوا بوضع اللبنات الأولى لنظرية نقدية تقف أمام النظريات الاجتماعية التقليدية والوضعية التي سيطرت وما تزال تسيطر على الفكر في الجامعات الألمانية. ينظر: فيل سليتر، مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها: وجهة نظر ماركسية، ط٢،المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٤، ص ٢١.

*** فيلكس فايل ١٨٩٨–١٩٧٥: باحث وناشط سياسي ألماني، ابن تاجر يتميز بالثراء الواسع، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة فرانكفورت، وهو أول من فكر أسهم في إيجاد أكاديمية لمتابعة البحوث في الفكر الماركسي، أسس معهد الأبحاث الاجتماعية التابع لمدرسة فرانكفورت عام ١٩٢٣ حيث عمل على دعم المعهد مادياً. علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر الى هابرماز، مركزالإنماء القومي بيروت، ١٩٨٧، ص٤٥.

**** جورج لوكاتش : ماركسي مجري ولد في بودابست في العام (١٨٨٥) ودرس على يد (ماكس فيبر) وكان في بدايته وجوديا ثم تحول إلى الماركسية وانضم إلى الحزب الشيوعي المجري في العام (١٩١٨) ، كاد (لوكاتش) أن يصير واحدا من أعضاء مدرسة فرانكفورت لأسباب عديدة ، أهمها الحرص على الانتماء إلى التراث الهيغلي الماركسي بما يخدم ظروف المشروع الثقافي الغربي المتحولة ، غير ان ما أبعده عن تلك المدرسة هو تأرجحه بين الالتزام السياسي الإيديولوجي المباشر وهو ما تسبب له بمشكلات ومتاعب شخصية وبين الإخلاص للبحث الفلسفي الجاد الذي اتاح له ان يقدم بعض من أهم الأعمال الفكرية في هذا العصر . للاستفاضة : ينظر: توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨١.

(٢) كمال بو منير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى اكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص ٣٩ .

***** كارل جرونبرج ١٨٩١-١٩٧٢: روائي وقاص وصحفي ألماني انضم عام ١٩١١ إلى الحزب الديمقراطي الاشتراكين ثم إلى الحزب الشيوعي الألماني (KPD) في عام ١٩٢٠، وكان احد المؤسسين لرابطة الكتاب الثوريين البروليتاريين (١٩٢٨-١٩٣٥) وكان من الكتاب الذين أحرقت كتبهم في بداية العهد النازي في ألمانيا في ١٩٣٣/٥/١٠: ٢٠١٧/١٢/٢٢ www.wikiwand.com

****** ماكس هوركهايمر : ولد في العام (١٨٩٥) في مدينة (شتوتكارت) الألمانية ، وكان سليل عائلة يهودية ثرية وبتأثير العائلة ترك دراسته في المدرسة المتوسطة وكان عمره بحدود السادسة عشر ليعمل في مصنع والده ، وفي العام (١٩١٦) اجبر على ترك العمل والالتحاق مقاتلا في الحرب العالمية الأولى ، وبعد انتهاء الحرب التحق بجامعة (ميونخ) ودرس فيها الفلسفة ، وعلم النفس ، انتقل بعد ذلك إلى جامعة فرانكفورت ، كتب في العام (١٩٢٥) أطروحته للدكتوراه وكان عنوانها (نقد الحكم عند كانط : التوسط بين الفلسفة العملية والفلسفة النظرية) وبعد سنة واحدة عين هوركهايمر أستاذا مساعدا . للاستفاضة : ينظر : محمد جلوب الفرحان ، مدرسة فرانكفورت النقدية واتجاهاتها الفكرية ،٢٠١٧/١٢/١٩: www.drmfarhan.wordpress.com

****** تيودور ادرنو : ولد في فرانكفورت ، وكان الطفل الوحيد لوالده ، وهو سليل عائلة يهودية تحولت إلى البروتستانتية ، لعبت شخصية عمته (اكاتي) الموهوبة في الموسيقى ، دورا مؤثرا في توجيه اهتمام الطفل (تيودور) نحو الموسيقى وخصوصا العزف على البيانو ، تخرج من مدرسة (كاسير ويلهم) وعمره سبعة عشر عاما وكان من الطلبة الأوائل في دفعته ،وفي جامعة فرانكفورت درس الفلسفة ، علم الموسيقى ، علم النفس وعلم الاجتماع وتخرج في العام (١٩٢٤) ، وخلال سنوات التلمذة في فرانكفورت كتب العديد من المقالات في النقد الموسيقي وكان يتطلع أن يكون مؤلفا موسيقيا ولهذا الغرض عمل اتصالا في العام (١٩٢٥) بأعضاء مدرسة (فينا) إلا أن خيبة أمله في أن يكون مؤلفا موسيقيا حملته إلى العودة إلى مهنته كأستاذ جامعي وباحث اجتماعي.للاستفاضة : ينظر : محمد جلوب الفرحان ، مصدر سبق ذكره .

(٣) فيل سليتر، مصدر سبق ذكره، ص ١٥ .

(٤) توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦.

(٥) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٧) عبد الله محمد عبد الرحمن ، النظرية في علم الاجتماع : النظرية الكلاسيكية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ٢٠٠٣، ص ٤٣٣- ٤٣٤.

(٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٩) ينظر: علاء طاهر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

******** هربرت ماركوز : فيلسوف ومفكر سياسي أمريكي من أصل ألماني ولد في (برلين) من أسرة برجوازية يهودية مندمجة في الحياة الألمانية ، عاش في ألمانيا وغادرها في العام (١٩٣٢) هربا من النازية ، دخل في العام (١٩٣٢) معهد الأبحاث الاجتماعية في

فرانكفورت ، نشر مؤلفاته الرئيسة في مرحلة متأخرة من حياته وبعد مرحلة من النضج والتفكير ، وبقي ماركسيا أكاديميا ملتزما إلى إن صدر كتابة (الجنس والحضارة) في العام (١٩٥٤) الذي أحدث تغييرا كبيرا في فكره ولاسيما بعد قراءته المعمقة لمؤلفات (فرويد). للاستفاضة : ينظر : عبد الوهاب ألكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، ج ٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ص ٦٥١ – ٦٥٢ .

(١٠) عبد الله محمد عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣٥

(١١) ينظر: محمد جلوب الفرحان، مصدر سبق ذكره.

(١٢) المصدر نفسه ، ص ص ٤٣٥ – ٤٣٦ .

********* ولد في مدينة فرانكفورت الألمانية عام ١٩٠٠، نشا في أسرة متدينة، يمثل النفسي التحليلي في مدرسة فرانكفورت، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ملتحقاً بفرع المعهد الأمريكي بعد وصول النازية إلى السلطة في عام ١٩٣٣ انفصل عن مدرسة فرانكفورت عام ١٩٣٩، عمل على تحقيق تداخل نظري تام بين التحليل النفسي والفكر النقدي على وفق تأسيس بنائي متماسك دامجاً بين الماركسية والفرويدية، ومن أهم كتبه: الخوف من الحرية، التحليل النفسي والدين، المجتمع العاقل، أزمة التحليل النفسي. علاء طاهر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩.

(١٣) فيل سليتر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣.

********* الحركة الطلابية: مجموعة الإحداث التمردية التي قامت بها جماعات الطلاب المعادية للامبريالية وحرب فيتنام والتي أدت إلى أول محاولة ثورية انقلابية في مجتمعات أوربا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية في العام (١٩٦٨) وقد لجأ الطلاب إثنائها إلى بناء الحواجز والخنادق، وتحولت بفضل مشاركة اليسار الجديد والتروتسكيين إلى حركة سياسية هدفها الإطاحة بحكم (ديغول) في فرنسا وبالنظام الرأسمالي حققت الحركة في= =فرنسا بعض الإصلاحات الجامعية ومطالب عمالية شملت ارتفاعا في الأجور، إلا أنها فشلت في تغيير النظام لأسباب كثيرة ، منها : قوة (ديغول) وقوة الطبقة الوسطى وتحالفها معه ، وموقف الحزب الشيوعي الفرنسي المعادي للثورة والملتزم بالتغيير البرلماني والتدريجي ، إلى جانب صعوبة إيجاد أرضية مشتركة وتحالف ثابت بين الأحزاب الثورية واليسار الجديد ، ورغم ان أفكار (ماركوز) مثلت احد أهم مصادر الهام هذه الحركة إلا أنها ما لبثت ان انطفأت وخفت جاذبيتها لعجزها عن إعطاء أجوبة جدية عن مشكلات العالم المعاصر رغم طموحاتها في رسم الطريق نحو التحرر الإنساني .ينظر : توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٢ .

(١٤) كريم عباس زامل ، مؤسس مدرسة فرانكفورت : www.institution.rssnews.ir

********** يورغن هابرماس : فيلسوف وعالم اجتماع ألماني ، ومن ابرز المعبرين عن الاتجاه العقلاني النقدي ونقد الطابع التقني والوضعي القمعي للعقل في الممارسات الرأسمالية والاشتراكية ، ولد في مدينة (دوسلدورف) ، ودرس في جامعتها ،وحصل على الدكتوراه عام (١٩٥٣)،ابرز نتاجاته الفلسفية القول الفلسفي للحداثة وخطابها السياسي،المعرفة والمصلحة والعلم والتقنية كأيديولوجية ،مفهوم الحداثة عند هيغل وغيرها.ينظر: حسن مجيد العبيدي ، مصدر سبق ذكره .

********** النظرية النقدية : يقصد بها تلك النظرية التي كان ينطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم للنظام الهيغلي ، ونقد الاقتصاد السياسي ، والنقد الجدلي وتهدف إلى إقامة نظرية اجتماعية متعددة المصادر والمنطلقات ، كالاستعانة بالماركسية والتحليل النفسي ، والاعتماد على البحوث التجريبية ، وبتعبير أخر النظرية النقدية هي تجاوز للنظرية الكانطية ، والمثالية الهيغلية ، والجدلية الماركسية فهي نقيض للواقع ونقد للمجتمع بطريقة سلبية ايجابية . ينظر : سعد البازعي وميجان الرويلي ، دليل الناقد الأدبي ، مركز الثقافة العربي ، بيروت ، ٢٠٠٠، ص ٢٠٠.

********** أوغست كونت: مفكر فرنسي ولد في مدينة مونبيليه الفرنسية عمل لفترة كاتباً لدى سان سيمون ورسم تحت اشرافه نظاماً للسياسة الوضعية، بدأ في عام ١٨٢٦ بإلقاء محاضراته عن الفلسفة الوضعية أمام عدد من العلماء أصيب بعدها بانهيار عصبي

سوداوي دام زمناً غير قليل في عام ١٨٢٩، ثم استأنف دروسه واصدر عدد من البحوث والمقالات. ينظر: أميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ترجمة:(جورج طرابيشي)، م٦،ط١، دار الطليعة، بيروت، د.ت، ص ص ٣١٤-٣٤٢.

(١٥) محمد الحلالي، الأسس النقدية لمدرسة فرانكفورت، في ٢٠١٨/١/٤: www.social.subject-line.com

(١٦) إبراهيم الحيدري ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، ٢٠١٣/١١/٢٥: www.ahewar.com

(١٧) محسن الخوني ، هيجل في مدرسة فرانكفورت ،٢٠١٦/١١/٢٧: www.civicegypt.org

(١٨) المصدر نفسه .

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٥-٢٦.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٢٢) خليل كلفت، إشكالية مدرسة فرانكفورت: بين النظريتين النقديتين الأصلية والجديدة: www.social-subject-line.com

(٢٣) محمد الجلالي ، الأسس النقدية لمدرسة فرانكفورت : www.social.subject-line.com

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٧٧ -٧٨.

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ص ٧٩ – ٨٠ .

(٢٧) الن هاو، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة: (ثائر ديب)، دار العين للنشر، القاهرة ، ٢٠١٠، ص ٢٥٧.

(٢٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٩) توم بوتومور، مصدر سبق ذكره ، ص ٨١.

(٣٠) محمد الجلالي ، مصدر سبق ذكره .

(٣١) توم بوتومور ، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ص ٢١٢-٢١٣.

(٣٣) محمد الجلالي ، مصدر سبق ذكره .

(٣٤) عبد الله ادالكوس، مراجعات في نقد الحداثة: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: .www.arabicmagazine.com

(٣٥) محمد السيد الجليند، فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، دار قباء، القاهرة،١٩٩٩، ص ١٢

(٣٦) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣٧) دورينداا اوترام ، التنوير ، ترجمة : (ماجد موريس إبراهيم) ، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٥٢.

(٣٨) مجموعة مؤلفين ، ما بعد الحداثة ، ترجمة : (محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي) ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٠ .

(٣٩) مجموعة مؤلفين ، الحداثة وما بعد الحداثة ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، ١٩٩٨ ، ص ٨.

* الاكليروسية : تيار معارض ومعاد لرجال الدين انتشر في أوربا بشكل خاص ، يدعي الدفاع عن المسيحية الأصيلة وذلك بوقوفه ضد الممارسات التي تشوهها . ينظر : عبد الوهاب الكيالي واخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ .

(٤٠) فتحي التريكي ورشيدة التريكي ، فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٩٢، ص ١١.

(٤١) عبد الوهاب ألكيالي وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٩.

(٤٢) ثروت عكاشة، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة،١٩٩٠،ص ١١٣.

(٤٣) سالم يفوت ، فلسفة العلم والعقلانية المعاصرة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٢، ص ص ٦٥-٦٦.

********** حركة الرومانتيك : حركة ظهرت في القرن التاسع عشر كحركة معارضة لحركة التنوير وكرفض للطابع الشخصي للعقلانية إذ أصبحت تبحث فيما قبل العقل وفيما بعد العقل .

(٤٤) سالم يفوت ،مصدر سبق ذكره ، ص ص٦٥-٦٦.

(٤٥) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٨٨.

(٤٧) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤٨) ماكس هوركهايمر وثيودور ادرنو،جدل التنوير، ترجمة: (جورج كتوره)، دار الكتاب الجديد، بيروت،٢٠٠٦،ص ١٦.

(٤٩) سالم يفوت ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨.

(٥٠) ينظر : إبراهيم الحيدري ، النظرية النقدية وديالكتيك عصر التنوير ، مجلة دراسات عربية ، ع(٩-١٠)، تموز ، ١٩٨٩،ص ١١٠ .

(٥١) إبراهيم الحيدري ، الحضارة والمدنية : طروحات في النظرية الاجتماعية والمجتمع ، نشرة معهد العلوم الاجتماعية ، ع(١٠) ، الجزائر ، ١٩٨٣،ص ٤١.

(٥٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥٣) كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣ .

(٥٤) محمد نور الدين افاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية ألمعاصره : نموذج هابرماس ،ط٢ ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، ١٩٩٨، ص ٣٠ .

(٥٥) نقلا عن : كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ .

(٥٦) ماكس هوركهايمر وثيودور ادرنو ،مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢.

(٥٧) كمال بومنير ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

(٥٨) اندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة (خليل احمد خليل) ، ط٢ ، ج٢ ، عويدان للنشر ، بيروت،٢٠٠١ ، ص ص ١٢٠-١٢١.

(٥٩) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦٠) فتحي التريكي ورشيدة التريكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١.

(٦١) محمد مهران رشوان ، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٤، ص ص١٩-٢٠.

(٦٢) اندريه لالاند ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٢٠-١٢١.

(٦٣) نقلا عن : كمال بومنير ، ص ٣٠ .

(٦٤) نقلا عن : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٣١.

(٦٦) عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: تمهيد وتعقيب نقدي، حوليات كلية الاداب، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٣، ص ٢٧.

(٦٧) المصدر نفسه ، ص٣٢.

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٣٣.

(٦٩) محمد الجلالي ،مصدر سبق ذكره .